أمة فى ملك

للأستاذ سامى محمد

سكرتير تحرير مجلة الشؤون الاجتماعية

" أذيع هذا الحديث من محطة الاذاعة اللاسلكية
بدعوة من وزارة الشؤون الاجتماعية "

المحرر

سيداتى وسادتى :

يقول " هربرت سبنسر " أحد فلاسفة القرن التاسع عشر : إن الحكومة لا يجب أن تتدخل فى شأن من شؤون الدولة غير صيانة الأمن العام .

وهذا رأى جميل من فيلسوف يتطلع بفكره الى المثل العليا ، ولكنه غريب إذا صدر من كاتب اجتماعى يعيش بعقله ووجدانه فى غمار الحياة. فالفيلسوف يتوسم الكمال فى الخلق، وهو أن إصلاح شؤون الناس يجب أن يصدر عن الناس أنفسهم ، فلا يحتاجون الى تدخل الحكومة بتشريعاتها أو بمالها . وقد يكون للفيلسوف بعض الحق أو الحق كله ، ولكن الحق كله قد يكون له إذا ارتفع عالمنا الى المستوى الذى تخيله الفيلسوف ، مستوى هو أقرب الى الملائكة منه الى البشر.

يحدث قط أن بدأ إصلاح لم يسبقه تأييد من الحكومة، أو اشتراع يصدر عنها، وللتشريع قوة تستمدها الحكومات الدستورية من رغبات الشعب ، وما ينتظر أن يعود عليه من وراء تحقيقها من فوائد ، وهى بحكم صيانتها لأرواح الناس وأموالهم ، مكافة كذلك بالمحافظة على مستواهم الاجتماعى ، فتدخلها لازم وضرورى . لارشاد الناس الى ما يصلح شؤونهم . فالقول إذن بأن عمل الحكومة يجب أن يكون قاصرا على صيانة الأمن العام . أمر غير مستساغ، وخصوصا عندنا فى مصر، فنحن حتى الآن مازلنا فى مستهل عهد النهضة ولا يزال جوهرنا كما هو ، من الخامات التى لم تنسج بعد بطريقة فنية منظمة، فنحن شعب يعيش فى الغالب على الفطرة ، تقنع بالكلمة الطيبة ، ويحدونا الايمان بما قسم الله لنا من غنم أو غرم ، وهذا يدل دلالة واضحة على سلامة النفس الشرقية ، وبعدها عن المطامع والمآرب ، ونزعتها الى الرضا بالواقع ، والقناعة بما درج عليه الآباء والأجداد ،

مستمسكين بروح العصور الماضية وأنظمتها ، متشبثين بروح التواكل التى كانت تتلاءم والأجيال السالفة ، مطلقين عليها ظلما وافتئاتا كلمات التراث والمجد وغير ذلك من أمثال تلك الكلمات التى ينطقها قائلها بشىء غيرقليل من الفخر والمباهاة وهو لا يدرك أن مبعث فخره وتيهه هو فى الواقع حافز لسخرية مريرة من عقلية تعيش فى القرن الحاضر . ولو لا أنه يظهر بيننا من آن لآخر من يبعث فى نفس الأمة روح الشباب ، وينفخ فيها روح الوطنية والجهاد ، ويؤجج فى صدور أبنائها مشاعل القومية ، لظلت هذه الأمة قانعة حتى فى وطنيتها . وهذا أبرز دليل على صدق ما ذهبت اليه من أن شعبنا هو فى الحقيقة شعب يتأى عن عالم المادة ويجنح الى عالم الروح لينتهل من نبع حكمته ، مفضلا إياه على عالم المادة ، عالم المطامع والتنازع والضجيج .

ومع أن هذه الروح صادرة عن شعور إنسانى نبيل ، فليس معنى هذا أن نقنع بما نحن عليه من الضعف الاجتماعى ، فلا نسعى إلى تحقيق أهدافنا الاجتماعية وأطماعنا القومية ، حتى لا نتخلف عن ركب العالم المتمدين ؛ فنحن نرى البلاد التى ليس لها من التراث والمجد مثل مالنا ، بل نرى الدول التى كونت نفسها فى فترة قريبة من الزمن ، تصل إلى مستوى لا تكاد تصدقه عقولنا ، بينما نحن ذوى العز التالد والمجد الخالد ، لا نفكر إلا فيما يواجهنا من مشاكل لا بد من البت فيها فى التو والساعة ؛ فنحن إذن فى حاجة لا شك فيها إلى تدخل الحاكم بنفوذه وسلطانه ؛ ومفروض قطعا أن الحاكم يجب أن يكون أرجح عقلا من المحكومين ، فهو الربان المسؤول عن تسيير دفة الأمور بمهارة ودقة وحزم وإخلاص ؛ فاذا أمكن لمثل هذا الحاكم أن يقوم على مصالح هذه الأمة ، أمكنها أن تصل إلى ما تبتغيه من إصلاح شامل ومجد بالغ .

فنحن نرى فى تركيا مثلا — وهى إحدى الدول الشرقية القريبة ، ذات التقاليد العاتية والتراث المجيد — أن الدولة كانت ترزح تحت عبء المفاخرة بالمجد الغابر والعز القديم ، وكانت مقاليد الحكم فى يدى قوم هذه هى كل مؤهلاتهم ، وكانت الأمة وقتذاك راضية بما يكفل لها سد حاجاتها ، لذلك كانت فى حاجة ماسة إلى تدخل الحاكم المخلص القوى ، يؤيده النفوذ والجاه والمال والسلطة . وفى فترة قد لا تزيد عن السنة إلا قليلا — وهى لحظة يسيرة بالنسبة لأعمار الأمم — أمكن للزعيم الكبير " مصطفى كمال " ان يخلق من تركيا المتخاذلة المتواكلة دولة متمدينة روحا ومادة ، فتحررت من قيودها العتيقة ، وتخلصت من ربقة التقاليد البالية ، ونير الخضوع لأولئك النفر الذين كانوا يعيشون على السخرية بعقول الشعب الساذج ؛ واستطاع " مصطفى كمال " رحمه الله أن ينزع من نفس أمته ما علق بها من روح التواكل والجمود ، وأن يقودها إلى الصفوف الأولى فى موكب العالم المتحضر .

ومصر — كنانة الله فى أرضه — قد منّ الله عليها أخيرا ، بعد طول انتظار ، بمن استطاع أن يقبض بيديه القويتين على زمام الرأى فيها ، لأنه استطاع أن يجمع حوله قلوب هذا الشعب الوفى بما غرس فيها من حب و إخلاص ؛ ذلكم هو " الفاروق " العظيم ، فهو الحاكم الصالح المصلح ، والزعيم الوطنى المخلص ، والمصرى الأول ، والملك الكريم ، ذلك الملك الذى بهر الغرب بما يقدمه لشعبه كل يوم من دلائل الحب والتفانى فى سبيل رفعته والسهر على راحته ، رائده فى ذلك الحكمة وسداد الرأى ؛ ألا أنعم به من ملك عظيم ، ولا شك أنه الملك الذى يتمتع بأثمن عرش فى هذا الوجود ، هو عرش أثيل من قلوب شعبه الوفى الأمين !

لقد استطاع الفاروق أن ينهض بهذا البلد من كبوته نهضة شاملة فى كل مرافقه ، فبفضله وتحت رعايته السامية نهضت المشروعات الاجتماعية الكبيرة ونمت وترعرعت ، وعين الملك تسهر عليها ، وقلبه الكبير يرعى خطاها ، وشبابه القوى يبعث فى القائمين عليها إيمانا وانتعاشا وروحا قويا . ولو كانت سجايا " الفاروق " قد وجدت فى حكام هذا البلد من وقت بعيد ، لوثبت هذه الأمة وثبة جعلتها فى مقدمة أمم العالم .

سيداتى وسادتى :

هذا هو القائد الذى سيقودنا حتما الى النصر المبين ، وهذا هو الزعيم الذى ستظفر البلاد على يديه بإعادة مجدها الغابر وعزها التليد . ولا ننسى ان نذكر أن لأسرة الجالس على عرش الفراعنة الفضل كل الفضل على هذه البلاد فى جميع نواحى الحياة العامة ، فمؤسس الأسرة العلوية الكريمة هو الذى أشرق على مصر بنور العلم والعرفان ، فأصبح كل مصرى متعلم يدين بعلمه لتلك اليد البيضاء . وها هو ذا شبله " الفاروق " العظيم يعمل للقضاء على الجهل ومحو الأمية من البلاد . ولا غرو ، فهذا الشبل من ذاك الأسد !

لقد آن لهذه الأمة أن تستدبر عهد البؤس والشقاء : لتستقبل عهد العز والهناء . وسيكون تعلق هذه الأمة بملكها العظيم هذا التعلق النادر بين أمم العالم بشير خير وسؤدد لهذه الأمة الكريمة ، بل ولأمم الشرق جميعا .

سيداتى وسادتى :

إن هذه الأمة فى حاجة الى روح جديدة حتى تستطيع أن تقوم بتنفيذ مشروعاتها الإصلاحية والعمرانية ؛ إنها فى حاجة الى الأيدى القوية الأمينة التى تعمل جاهدة فى سبيل رفعتها وسعادتها ؛ إنها فى حاجة إلى النفوس المخلصة التى تؤمن فى قرارتها بحق هذه الأمة فى أن ترفع رأسها عاليا بين أمم العالم ، والتى لا تستريح ولا يطيب لها عيش ما دامت ترى ناحية من نواحى النقص أو التأخر فى أحد مرافقها . فلنعمل إذن بثقة و إيمان و إخلاص وليكن رائدنا الأوحد خدمة هذا الوطن وخدمة الجالس على عرشه ، فنثبت للعالم أجمع أننا جديرون بالانتساب إلى أجدادنا الأمجاد ، وأننا حقيقة من نسل بناة الأهرام .

سيداتى وسادتى :

على يدى " الفاروق " ستتحقق العدالة الاجتماعية ، وفى كنف " الفاروق " ستظفر البلاد بالميزان العادل الذى يعطى كل ذى حق حقه ، والذى يرفع هذا الشعب الكريم الى المستوى الاجتماعى اللائق بمكانة مصر الفتية الناهضة ، و برعاية " الفاروق " عاهلنا العظيم ستقف مصر فى مقدمة صفوف العالم المتمدين ، فاذا ذكر التاريخ حكم " الفاروق " على صفحاته فسوف يذكر أنه أول ملك أرشد أمته الى سبيل الوطنية الخالصة ، وأول ملك تمسك بحقوق بلاده كاملة غير منقوصة ، وأول ملك نادى بالاتحاد ورعاية الجار ، وأول ملك ثبت لركان الديمقراطية الصحيحة ، وأول ملك عاش للشعب ، و يعيش من أجل الشعب ، ولن تحتاج هذه الأمة فى المستقبل القريب بإذن الله إلى تدخل الحكومة فى غيرشؤون الأمن العام كما قال " سبنسر " ، لأنها بفضل مليكها الفتى العظيم ستستكمل كل نقص وتبلغ ذروة الكمال .

حفظ الله " الفاروق " ، وحقق على يديه الكريمتين آمال هذه البلاد ، إنه سميع مجيب الدعاء .

والسلام عليكم ورحمة الله " .

سامى محمد

من حكم الإمام على

والذى وسع سمعه الأصوات ، ما من أحد أدخل على قلب فقير سرورا إلا خلق الله له من هذا السرور لطفا ، فإذا نزلت به نائبة جرى إليها لطف الله كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه .